

جماليات الفن البيئي وتأثيره على الوعي الجمالي

دراسة تحليلية لرسومات قوس ماركس

أ.محمد مصطفى مليطان

كلية الفنون، جامعة طرابلس

ملخص البحث:

هدفت الدراسة إلى تحديد مدى الاستفادة من البيئة الفنية، ومعرفة جماليات البيئة وتأثيره على الوعي الجمالي، وكذلك الكشف عن الفن البيئي ودوره في تنمية الوعي الجمالي، كما هدفت إلى رفع مستوى الوعي حول جماليات البيئة، وتأثيره على الوعي الجمالي. ولا تخلو هذه الدراسة من أهمية تكمن في الاهتمام بالبيئة الفنية الغنية بالأعمال القيمة؛ حيث تعد مدخلاً لتنمية الوعي الجمالي، كما تكمن في نشر الثقافة الفنية وزيادة القيمة الحضارية للمنطقة التي يكون فيها، ومن الأهمية كذلك أن الفن البيئي يساهم في تهذيب الذوق العام وصله لدى الإنسان المتلقي. هذا وتكمن مشكلة الدراسة في بيان مدى تأثير جماليات الفن البيئي على الوعي الجمالي من خلال المعالم الأثرية التاريخية للبيئة المنتشرة في العديد من الأماكن والمواقع الليبية التي شهدت مرور الحضارات اليونانية والبيزنطية القديمة، مثل قوس ماركس أوريليوس. أما منهج الدراسة فقد اعتمد الباحث في بحثه هذا على منهجين اثنين، أولهما: المنهج التاريخي من حيث سرده للمرحلة التاريخية لقوس ماركوس في مدينة طرابلس القديمة عاصمة ليبيا. وثانيهما: أنه اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي من حيث تحليل القوس كوصف وتحليل للعمل الفني بشكل عام. هذا وقد توصلت الدراسة إلى نتائج وتوصيات عدة، ومن أهم تلك النتائج: أن الفن البيئي أسهم في تنمية الوعي الجمالي، وأن الفنون البيئية تلعب دوراً مؤثراً في الحياة اليومية، إذ تساهم بشكل كبير في الحفاظ على الحضارات التاريخية والمعالم الأثرية، وتنتمي الفنون ورفع الوعي الجمالي والثقافي داخل المجتمع. أما التوصيات فقد أوصى الباحث بتقرير مادة الفنون البيئية لطلبة الفنون وتعريفهم بها، وكذلك أوصى بالمحافظة والحماية والترميم الدوري للأعمال الفنية التاريخية والاستعانة

بالأجهزة الأمنية والضبطية في حراسة المواقع المهمة القريبة من العمران حيث شهدت بعض المناطق الأثرية سلوكيات مشابهة كالكتابات المشينة على بعض المعالم الأثرية. الكلمات المفتاحية: الفن البيئي، المعالم الأثرية، الوعي الجمالي.

مقدمة:

يعد الفن البيئي هو أحد الفنون التي استلهمت الإرث الحضاري للبيئة في إعادة الصياغة الجمالية بتحويل المهمل منها إلى قيمة بصرية خلّابة، فالفنّ يؤثر بشكل كبير على تطوّر وعي الإنسان والبشرية حيث يجول بالفكر نحو الإحساس بالحياة، بل وكيف يجب أن يعيش الناس، ومعرفة النموذج الأمثل للجمال، هذا ويؤثر الفن بشكل مباشر على الفن البيئي، وذلك من خلال تعزيز الوعي وإبراز الجمال والتركيز على الحركات والأنماط الطبيعية، وتحفيز الشعور بالانتماء إلى البيئة المحيطة¹.

ولا شك أنّ الاهتمام بالفن البيئي وزيادة الوعي الجمالي بهذا الفن يعدان جوهرًا أساسيًا في استلهم الإرث الحضاري؛ لإعادة صياغة الجمال بأشكاله الفنية المتنوّعة، إذ تلعب المشاريع البيئية المتعلقة بالفن دورًا حيويًا في تعزيز وتنمية التذوق الجمالي لدى المجتمع، عبر تقديم رسالة تربوية وجمالية ذات طابع فكري، وذلك ضمن إطار فني مستوحى من العوامل والعناصر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية المحيطة بالإنسان.

وقد تجتمع هذه العناصر لتؤثر بشكل عميق على الفرد والمجتمع ككل، حيث تشكّل البيئة النشطة التي تحدّد الإطار الزمني والمكاني لعلاقة الإنسان بمحيطه، ممّا يؤديّ إلى تأثير مباشر على الإدراك الحسي والتطور العقلي والحضاري للبشرية².

مشكلة البحث:

إلى أي مدى تؤثر جماليات الفن البيئي على الوعي الجمالي من خلال المعالم الأثرية التاريخية المنتشرة في العديد من الأماكن والمواقع التي شهدت مرور الحضارات اليونانية

1 ذلال سالم نجم ، الفن البيئي ودوره في تنمية الوعي الجمالي / مجلة بحوث الشرق الوسط العدد الثالث والخمسون ، يناير 2020م، ص 454.

2 أنظر: إبراهيم بطوطو ، محمد نايف الصرايره ، مفاهيم أساسية في عالم البيئة، الطبعة الاولى . ، سنة 2012 م، صفحة 32.

والبينظية القديمة، مثل قوس ماركس.؟ لقد سُيدت هذه المعالم لتكون ذات قيمة فنية وتاريخية حضارية تعزز الوعي الجمالي، مما دفع إلى تأسيس مشكلة البحث.

التساؤلات:

- ما أهم المواضيع التي تمثلها الأعمال الفنية البيئية؟ وكيف يمكن المحافظة على هذه الأعمال الفنية واستثمارها جمالياً وفنياً؟
- هل هناك جماليات للفن البيئي و له تأثيره على الوعي الجمالي؟

فرضيات البحث:

- في الغالب هذه الأعمال الفنية البيئية تزيد من جماليات المكان وتتمّي الوعي الجمالي، وتزيد من القيمة الحضارية للمنطقة.
- من المفترض أن تحفظ هذه الأعمال بشكل دوري، ويجب حمايتها بيئياً وجمالياً.

أهمية البحث:

تکمن الأهمية في:

- الاهتمام بالبيئة الفنية الغنية بالأعمال القيمة حيث تعد مدخلا لتنمية الوعي الجمالي.
- نشر الثقافة الفنية وزيادة القيمة الحضارية للمنطقة التي يكون فيها.
- إسهام الفن البيئي في تهذيب الذوق العام وصقله لدى الإنسان المتلقي؛ لأن الفن هو تنمية الجمال، والإقبال إلى القيم الإنسانية في الوعي الجمالي.
- زيادة تنمية الوعي الجمالي فهو فن يعيش بين الناس.

أهداف البحث:

- جاء هدف الدراسة لرفع مستوى الوعي حول جماليات البيئة وتأثيره على الوعي الجمالي.
- تحديد مدى الاستفادة من البيئة الفنية، ومعرفة جماليات البيئة وتأثيره على الوعي الجمالي.

- الكشف عن الفن البيئي ودوره في تنمية الوعي الجمالي.

مصطلحات البحث:

الجمال: beauty

الجمال هو مفهوم يشير إلى الجاذبية في الشكل والأسلوب والسلوك والمظهر، حيث يمكن أن يكون الجمال شخصياً أو ثقافياً، فضلاً عن كونه يرتبط بالروح والذكاء والأخلاق والقيم الإنسانية العالية، وعليه يختلف تعريفه من شخص لآخر، وفي المفهوم اللغوي ف الجمال هو صفة الحُسْن في الأشكال و الأخلا، ومنه جَمالُ الوَجْه وبصفة أدق فهو " ما يبعث في النَّفس شعوراً بالإعجاب والسُّرور والرُّضى و السَّعي وراء الجمال".³

الجمالية : Aesthetic

تشير كلمة "الجمالية" إلى جودة الجمال أو إرضاء الحواس، وهي تشمل الجوانب البصرية والسمعية واللمسية للعمل الفني، بما في ذلك تكوينه ولونه وملمسه وشكله، و الجماليات في الفنون الجميلة ذاتية، ويمكن أن تختلف بشكل كبير بين الثقافات والفترات الزمنية ووجهات النظر الفردية، غالباً ما يستخدم هذا المصطلح لوصف المظهر البصري العام لعمل فني، ويمكن أن يشير أيضاً إلى النمط أو النوع أو الحركة التي تنتمي إليها.⁴

الوعي الجمالي Aesthetic awareness

الوعي الجمالي هو القدرة على التذوق والشعور والانتباه إلى القيمة الجمالية في شيء ما، سواء كان ذلك عملاً فنياً، أو ظاهرة طبيعية، و يتمثل هذا الوعي في إدراك وفهم الظواهر الجمالية والاستجابة لها من مختلف الزوايا المعرفية والعاطفية والحسية والوجدانية والاجتماعية، فمهما كانت مظاهر الاستجابة لهذه الظواهر، تظل تعبيراً عن وعي جمالي مخصّص، يتفاعل مع جماليات الكون بشكل شامل ومتعدّد الأبعاد.⁵

3 سائد سلوم ، علم الجمال ، الجامعة الافتراضية السورية ، ص2 .

4 ممدوح عبد الجيد ، القيم الجمالية والتعبيرية ، المجلس الأعلى للثقافة ، ص40

5 انظر : الوعي الجمالي، عند الطف إبراهيم ، وفاء ، مكتبة السرة، مصر، 2332 ص.14

الفن: art:

الفن في مفهومه اللغوي هو: فنّ الشيء، أي زينه ... وتفنّن في الحديث أي: حسن أسلوبه في الكلام ، ومنه النوع، قال بعضهم: قد لبستُ الدهرَ من أفنائه، ... كلُّ فنٍّ ناعمٍ مِنْهُ حَبْرٌ⁶.

واصطلاحاً: هو قدرة الفنّان على نقل أفكاره أو مشاعره للجمهور بحيث يستطيع هذا الجمهور أن يحس بها و يعيشها و يكتب التجربة التي لولا الفنّان ما كان له أن يكتبها. **وبمعنى آخر:** هو تعبير إبداعي يتمثّل في إنتاج أعمال تجميلية أو تواصلية أو تعبيرية تعكس الرؤية والتجربة الفنية للفنّان بحيث يحفّز حواس الجمهور عاطفهم وتفكيرهم، متنوّعاً في أشكاله وأنماطه وتقنياته بما يتناسب مع الثقافة والتاريخ والتطورات الاجتماعية والتكنولوجية في المجتمع.⁷

ولعلّ ممّا يشير إليه مصطلح (الفنون) عموماً هو تلك الأشكال المختلفة للتعبير الإبداعي الذي يتضمّن مهارة خيالية أو تقنية، كالفنون البصرية مثل الرسم والنحت والتصوير الفوتوغرافي؛ والفنون المسرحية وغيرها من أشكال التعبير الأخرى.

الفن البيئي: Environmental art:

هو عملية فنية أو توليف بين عدّة مواد لتكوينات ضخمة تملأ الفراغ وتجذب نظر الناظر من خلال تكوين الأشكال الفنية لتحريك حيز جامد من المساحة، وهو عبارة عن مجموعة واسعة من الأنماط التي تساعد على تحسين العالم الطبيعي من خلال توفير فرصة لتأكيد دور الفن في خدمة المجتمع جمالياً وبيئياً.⁸

6 انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، سنة 1414هـ، ص326/13.

7 سائد سلوم، علم الجمال، الجامعة الافتراضية السورية، ص14 .

8 صفاء لطفى الألويسي، الفن البيئي تعريفه، تطوره، عناصره وأهميته، الدار المنهجية، ص94 .

تعريف البيئة لغة:

تُعرّف البيئة لغةً بأنها مجموعة العناصر الاصطناعية والطبيعية التي تُحيطُ بالكائنات الحية (الإنسان والحيوان والنبات)، وهي أيضاً المنزل والمكان الذي يسكن فيه الكائن الحي، وبشكل عام هي جميع الظروف الخارجية التي تؤثر في شيء معين.⁹

وتعرف البيئة بأنها الطبيعة، أي: العالم من حولنا فوق الأرض بينما نجد أنّ بعض الباحثين عرّفها بأنها مجموعة العوامل الطبيعية المحيطة التي تؤثر على الكائن الحيّ أو التي تحدّد نظام مجموعة ايكولوجية مترابطة، وبأنّها: مجموعة من النظم الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى، و يتضمّن مفهوم البيئة كل العناصر الطبيعية، سواء كانت حية أم غير حية.¹⁰

الحدود الزمنية والمكانية:

1. الحدود الموضوعية: في جماليات الفن البيئي وتأثيره على الوعي الجمالي.

٢. الحدود الزمانية: من يناير 173م.

الحدود المكانية: قوس ماركوس أوريليوس في مدينة طرابلس عاصمة ليبيا.

منهجية البحث:

لقد اعتمد الباحث في بحثه هذا على منهجين أثبتين: أولهما المنهج التاريخي من حيث سرده للمرحلة التاريخية لقوس ماركوس أوريليوس في مدينة طرابلس القديمة عاصمة ليبيا. وثانيهما أنّه اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي من حيث تحليل القوس كوصف وتحليل للعمل الفني بشكل عام.

9 صفاء لطفى الألويسي، الفن البيئي تعريفه، تطوره، عناصره وأهميته، الدار المنهجية، ص83.

10 ظلال سالم نجم، الفن البيئي ودوره في تنمية الوعي الجمالي، مجلة بحوث الشرق الأوسط المجلد 8، العدد 53، ص451.

الدراسات السابقة:

بحث بعنوان "الفن البيئي ودوره في تنمية الوعي الجمالي" للباحثة: ظلال سالم نجم، تم نشره في مجلة بحوث الشرق الأوسط المجلد 8 ، العدد 53.

اهتمت هذه الدراسة ببيان أهمية استخدام الفن بوصفه مدخلاً لتنمية الوعي الجمالي بالفن البيئي، من خلال ارتباط فكرة الإبداع في الأعمال الفنية، لما يتضمنه من توظيف جمالي فضلاً عن تطويع البيئة باستخدام الآليات والتقنيات لتجميل المكان لتلبية المتطلبات الإنسانية سواء كانت تربية أم اجتماعية؛ لأنَّ البيئة والفن والإنسان يلتقون ويحققون إنجازاً يؤثر على المتلقّي المتعلّم بكيفية الاستفادة من البيئة، لما لها من تأثير على سلوكه ووعيه الجمالي. وقد قُسمت الدراسة إلى أربعة فصول وخاتمة:

أمّا الفصل الأول من البحث فهو تعريف بمشكلة البحث وأهميته وأهدافه؛ إذ قامت الباحثة بتحليل أهم المصطلحات الواردة، أمّا الفصل الثاني فيتضمّن مبحثين يعنى الأول بالفن البيئي المفهوم والمعنى.

أمّا الفصل الثاني فعلاقة الفن البيئي بالوعي الجمالي.

أمّا الفصل الثالث فاحتوى على إجراءات البحث وتضمّن مجتمع البحث (30) عملاً فنياً وبطريقة قصدية، وتم اختيار (3) أعمال فنية للتحليل. أمّا أداة البحث فحددت (5) مجالات للفن البيئي التي تمثّلت بعناصر العمل الفني، أساليب إظهار الفكرة كتتفيذ وتقنيات مستخدمة المحفزات والمثيرات المضمون التربوي، والوعي الجمالي المضمون والفكرة واستخدمت الباحثة الوسائل الإحصائية ومعامل ارتباط بيرسون لحساب نسبة الاتفاق بين المحللين.

أمّا الفصل الرابع، فقد احتوى على نتائج البحث التي تمثّلت بالفن البيئي، بما يحتويه من آليات وتقنيات مختلفة، تشكّل عموماً مزيجاً من المشاركة بين المتلقّي والعمل الفني حواراً ينمي المعرفة والوعي الجمالي عن طريق توظيفه للتقنيات والمواد المستخدمة.

أمّا الاستنتاجات فتمكّن الفن البيئي من المساعدة على التواصل مع المتلقّي من خلال أعمال فنية بيئية غيرت الطريقة التي يرى المتلقّي فيها الفن، ممّا عزّز علاقة الإنسان بالعالم الخارجي، وأخيراً اختتمت الباحثة الفصل بالتوصيات والمقترحات.

الفجوة البحثية:

امتازت دراسة الباحث عن الدراسة السابقة ببيان مدى تأثير جماليات الفن البيئي على الوعي الجمالي من خلال المعالم الأثرية التاريخية المنتشرة في العديد من الأماكن والمواقع في دولة ليبيا، التي شهدت مرور الحضارات اليونانية والبيزنطية القديمة، مثل قوس ماركوس أوريليوس في طرابلس، عاصمة ليبيا الذي يعد نصباً تذكاريّاً للإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس، الذي حكم خلال الفترة من 161 إلى 180 ميلادي.

الإطار النظري:

1- مقدمة عن الفن البيئي:

لا شك أنّ أي مبادرة بيئية تحمل في طياتها جوهرًا جماليًا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالفن بجميع أشكاله، ممّا يجعل العمل البيئي نشاطًا فنيًا بكل المقاييس. وقد يتبادر إلى الذهن أنّ مصطلح (بيئي) يشير أولاً وقبل كل شيء إلى مفاهيم أكاديمية ترتبط بعلم النفس والتربية والسلوك الاجتماعي. ولعلّ المفهوم السائد للجوانب الفنية التي تعبّر عن الجمال والفكر، مثل الرسم والنحت والفنون التشكيلية بمختلف تفرعاتها الحديثة، يستبعد وجود تصنيف فني محدّد يسمى (الفن البيئي). ولكن يبقى السؤال قائمًا: هل يمكن بالفعل ربط الفن البيئي بالإبداع؟

نستطيع القول إنّ الفنّ البيئي استطاع رغم حداثته نسبيًا أن يفرض حضوره على الساحة الفنية بشدة وبشكل يومي، حتى بات يطلق عليه أحيانًا الفن الجماهيري، وهذا الفن ضارب بجذوره منذ القدم في كهوف الإنسان الأول، وهو ليس حديث كما يعتقد الكثيرون.¹¹

2- أهمية الفن البيئي:

1. يزيد من تنمية الذوق الفني فهو فن جماهيري يعيش بين الناس.

11 انظر: صفاء لطفي الأوسى، الفن البيئي تعريفه، تطوره، عناصره وأهميته، دار المنهجية، ص 89.

2. ينشر الثقافة الفنية ويزيد من القيمة الحضارية للمنطقة التي يكون فيها.
3. إنَّ المواطنين الذين يعيشون متجاورين مع الأعمال الفنية يحسون بها.
4. تكون تلك الأعمال نقطة دالة لهم ولحياتهم الخاصة، ويحسون بحركة الحياة أكثر.
5. هو فن لكل الناس، أي أنه فنّ مفتوح بعيداً عن صالات العرض والمتاحف المغلقة والمعارض وكل ما هو محجوز.

وهو فن يهدف غالبية أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه، فهو مفهوم أبعد من مفهوم اللوحة المؤطرة والتمثال التقليدي.¹²

3- خصائص الفن البيئي:

الفن البيئي هو فن يهدف إلى توظيف المكان والمساحة المحيطة في العمل الفني، ومن هنا جاءت بعض الخصائص الرئيسية للفن البيئي ومنها:

أولاً: **تواجد في المكان وتداخل مع المحيط:** يعتمد فن البيئة على تواجد العمل الفني في المكان نفسه بدلاً من العرض التقليدي في صالات العرض، ويهدف فن البيئة إلى تكامل العمل الفني مع المحيط الطبيعي أو المبنى المحيط به.

ثانياً: **تجربة تفاعلية و التأثير على المشاهد المشاركة والتفاعل مع الأعمال الفنية،** حيث من خلاله يمكن للمشاهدين التجوُّل في المساحة واستكشاف الأعمال الفنية من جميع الزوايا والأوجه ويهدف فنّ البيئة إلى إحداث تأثير عاطفي أو عقلي على المشاهد.

ثالثاً: **استخدام مواد طبيعية والتركيز على العلاقة بين الفن والطبيعة:** يتم استخدام مواد طبيعية يشمل النباتات والحجارة والماء والأرض وغيرها، ويعد العمل الفني جزءاً من البيئة الطبيعية، ويسعى إلى التوازن بين العنصرين¹³.

4 - مفهوم الوعي الجمالي:

تُعرّف القدرة على التذوق أو الشعور أو الانتباه إلى القيمة الجمالية الموجودة في شيء ما، سواء كان ذلك عنصراً طبيعياً أم عملاً فنياً، باعتباره محور انتباه وإحساس وإدراك. ويُعد

12 المرجع السابق، ص 90.

13 انظر، حسن محمد حسن، الأصول الجمالية للفن الحديث، ص 88.

الوعي الجمالي واحداً من أبرز الموضوعات الفكرية والفلسفية التي شغلت اهتمام عدد كبير من الفلاسفة والباحثين عبر العصور. كما أنّ عناصر الجمال والخير والحق تُشكّل الركائز الأساسية لمُبْحَثِ القِيمِ، فعنصر الجمال يكون بذلك رافداً من روافد الفكر الفلسفي؛ والإنسان بطبيعته الخلقية كائن يحمل ميولاً فطرية تشدّه نحو الجمال الذي هو خلاصة حال التناغم والانسجام والتكامل بين عنصريّ الصورة والجوهر، بين الشكل والمضمون.¹⁴

5- علاقة الفن البيئي بالوعي:

إنّ الفن بوصفه نشاطاً إنسانياً أنّ يخلق تجربة حية جديدة من صميم البيئة، فهو عملية تطويع ورصد لتلك المؤثرات ضمن البيئة الكلية وتشكيلها وصياغاتها بإطار جمالي جديد يتحقق في عمل فني يحمل صفات وتقنيات انفعالية، فالبيئة "تخلق من جديد بهيئة بيئة مضافة تحمل انفعالات وشحنات وجدانية تتطوي على تعبير معيّن، وبما أنّ الفنّان يعمل بطريقة شعورية منظّمة، فهو قادر على إعادة خلق تلك الأشياء ضمن سياق جمالي، إذ تأخذ الصورة في تصور الفنّان عدّة تحويلات؛ ليتعاقب فيها الحذف والإضافة حتى تصير عملاً فنياً يشتمل فيه الخلق والإبداع".¹⁵

إنّ فالبيئة هي المنظومة التي يعيش داخلها الإنسان الفنّان يتأثر بها ويؤثر فيها، من خلال تفاعله مع عناصر ذلك المكان، فهو قادر على إعادة خلق تلك الأشياء ضمن سياق جمالي".¹⁶ وهذا ما يدفع الفنّان إلى توظيف ما حولنا بالطريقة التي يعتقد أنّها تتناسب وضعنا الحياتي، وتلبّي المتطلّبات الاجتماعية، فالإنسان لا يجد في أي شيء ما هو ثابت ومحدداً تحديداً صارماً كل شيء بالنسبة لهذا الوعي يمكن أنّ يتحوّل إلى أي شيء آخر ذي خصائص وصفات أخرى"¹⁷ ممّا يدعو إلى إنشاء بيئة سليمة سواء أكانت طبيعية أم مصنوعة على الصعيدين الاجتماعي التربوي من جهة، والجمالي من جهة أخرى.

14 انظر: إبراهيم، وفاء: الوعي الجمالي عند الطغف، مكتبة السرة، مصر، 2332 ص 14.

15 ظلال سالم نجم. مجلة بحوث الشرق الأوسط. العدد الثالث والخمسون، يناير 2020م، ص 457.

16 حسن محمد حسن، الأصول الجمالية للفن الحديث، ص 64.

17 زكريا إبراهيم القاهرة، ديوي جون، الفن خبرة، دار النهضة العربية، ص 189.

6- التأثيرات الفنية البيئية.

أولاً: البيئة وأثرها على الفنون:

البيئة هي كل ما يحيط بالكائن الحي، بما في ذلك الإنسان، وتتفاعل معه ويتأثر بها وتؤثر عليه، والدليل على ذلك أنه عندما توفر البيئة للفنان المواد الأولية اللازمة، نجد أن أعماله تتميز بجودة تقنية عالية.

وهذا يتجلى بوضوح في الفن الروماني القديم، حيث كانت البيئة غنية بأنواع الحجر والعديد من المعادن؛ نتيجة لذلك تمكن الفنانون من نحت التماثيل، ورسم الجدران بأعمال فنية بقيت صامدة لآلاف السنين حتى يومنا هذا بفضل صلابتها وثبات ألوانها وبهائها.¹⁸

ثانياً: مدى التأثيرات الفنية البيئية.

يمكن أن يؤثر الفن بشكل مباشر على الفن البيئية، وذلك من خلال تعزيز الوعي وإبراز الجمال والتركيز على الحركات والأنماط الطبيعية في الطبيعة، وتحفيز الشعور بالانتماء إلى البيئة المحيطة.

ومن خلال ذلك فالفن يمكن أن يساعد على تعزيز الوعي البيئي، وزيادة توعية الناس بالتحديات البيئية التي تواجه العالم اليوم، بالإضافة إلى تشجيع التفكير الإبداعي والابتكار في العلوم والتكنولوجيا، الذي يمكن أن ينتج عنه حلولاً وأفكاراً مستدامة.¹⁹ ولعل من أهم التأثيرات ما يلي:

1- تأثير الفن البيئي في تنمية الوعي الجمالي.

"تعد البيئة المحيط الحيوي للإنسان، وأهميته في استخدام الفن بوصفه مدخلاً لتنمية الوعي الجمالي بالفن البيئي، ومن خلال ارتباط فكرة الإبداع في الأعمال الفنية، لما يتضمنه من توظيف جمالي فضلاً عن تطويع البيئة باستخدام الآليات والتقنيات لتجميل المكان؛ لتلبية المتطلبات الإنسانية سواء كانت تربية أم اجتماعية لأن البيئة والفن والإنسان

18 انظر: صفاء لطفي الأوسلي، الفن البيئي تعريفه، تطوره، عناصره وأهميته، الدار المنهجية، ص 85 .

19 المرجع السابق، ص 87.

يلتقون ويحققون إنجازاً يؤثر على المتلقي المتعلم بكيفية الاستفادة من البيئة لما لها من تأثير على سلوكه ووعيه الجمالي".²⁰

2- تأثير الفن البيئي على نفسية الفنان.

أكدت دراسة ميدانية أجراها مجموعة من الباحثين، على التأثير العميق للفنون والثقافة على الصحة النفسية، وأوضحت أن الإبداع الفني يمكن أن يكون وسيلةً علاجيةً مهمةً للنفس؛ وذلك بفضل قدرته على تعزيز التعبير الذاتي، وتحسين التواصل العاطفي، بالإضافة إلى ذلك فإن الاستمتاع بالأعمال الفنية والمشاركة في الأنشطة الإبداعية يسهمان بشكل ملحوظ في تحقيق تجارب إيجابية تدعم تحسين الصحة النفسية، وتقليل مستويات التوتر والقلق.

إن فنون الإبداع تتراقص على خيوط الوجدان، تروي قصصاً لا يمكن للكلمات وحدها وصفها. فأثر الفنون والثقافة على الصحة النفسية يعد عبارة عن تجربة فريدة من نوعها، ترسم فيها لحظات الجمال والتعبير العميق، حيث يعد الفن بأشكاله المختلفة تنقيساً للنفس وتعبيراً عمماً يحمل الإنسان من مشاعر يساعد في اكتشاف المكبوتات التي تبعث القلق.²¹

(تحليل بعض النماذج):

قوس ماركس :

قوس ماركوس أوريليوس في طرابلس، عاصمة ليبيا: يعد هذا القوس نصباً تذكاريًا للإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس الذي حكم خلال الفترة من 161 إلى 180 ميلادي.

ولا يزال هذا المعلم يجتذب أعداداً كبيرةً من السياح؛ كونه الأثر الروماني الوحيد المتبقي في مدينة طرابلس. يتمتع القوس بموقع استراتيجي في حي باب البحر، بشمال المدينة القديمة، حيث يواجه شارع الفرنسي المعروف، ويجاور جامع قرجي القديم، بينما يُطلّ من جهة الشمال على البحر وميناء طرابلس.

20 ظلال سالم نجم ، مجلة بحوث الشرق الأوسط ، الفن البيئي ودوره في تنمية الوعي الجمالي ، المجلد 8، العدد 53 - الرقم المسلسل للعدد 1

21 انظر : سعيد سالم بن محسن الاسمري، الفنون وعلاقتها بتعزيز الصحة النفسية، دار الجودة، ص65.

وبلا شك يمثل قوس ماركوس أوريليوس أحد أهم الآثار الرومانية المنتشرة في ليبيا.²²

مكان القوس:

تم إنشاء القوس في ساحة تقع قبالة باب البحر والمرفأ، بالقرب من الطرف الشمالي للمدينة القديمة.

تاريخ الانشاء:

تأسس في عام 163 ميلادي، بجهود وتكاليف أحد القضاة.

وصف القوس:

يُعد هذا القوس من أروع أمثلة الهندسة المعمارية بتصميمه الفريد وأناقته الباهرة، حيث يتميز بنمط الأربع فتحات. تم تشييد القوس بالكامل باستخدام الرخام الأبيض تحت إشراف المهندسين الإغريق المقيمين في المدينة.

يتفرد القوس بأربع واجهات ومدخلين مقوسين، يتقاطعان بزوايا قائمة، وهو ما يضفي على البناء فخامةً وجمالاً بصرياً استثنائياً. وتبلغ مساحة البناء 156 مترًا مربعًا. تشير أبعاد الواجهتين الشمالية الشرقية، والجنوبية الشرقية إلى أنّ المدخل الأساسي للقوس كان يقع باتجاه المرفأ، ويعد الأكثر أهمية مقارنة بالمدخل الآخر.

تزين كل واجهة من الواجهتين المذكورتين بستة أعمدة سائدة: اثنان منها يحيطان بفتحة القوس، وأربعة تحيط بالتجويفين عند الجانبين الآخرين، مما يعزّز من هيبية وروعة التصميم الكلي للهيكل. كما هو موضّح صورة رقم (1).²³

22 دعاء مسمار عبد الحفيظ، أقواس النصر الرمانية، وزارة الدولة لشئون الآثار، ص35.

23 أنظر : دعاء مسمار عبد الحفيظ ، أقواس النصر الرمانية ، وزارة الدولة لشئون الآثار ، ص36



صورة رقم (1) توضح المدخل الأمامي لقوس ماركوس أوريليوس (تصوير الباحث) في مدينة طرابلس عاصمة ليبيا. هو قوس لتخليد ذكرى الإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس، والذي حكم في الفترة ما بين عامي (161 - 180).

تُزيّنُ الواجهات الشمالية والشرقية والجنوبية الغربية بنقوش منحوتة ذات زخارف نباتية وهندسية بشكل متناسق. كما يُزيّن كلُّ منها بعمودين من الطراز الكورنثي يستندان على قاعدتين بارزتين طويلتين، ويوجد فجوات بين الأعمدة مزينة بتماثيل للأباطرة، وتظهر على القوس صور محفورة تجسد آلهة الحب كما يزعمون حاملاً إكليلاً من الزهور كما هو موضَّح في الصورة رقم (2).



صورة رقم (2) توضح الفجوات بين الأعمدة مزينة بتماثيل للأباطرة (تصوير الباحث)

تجسدت نقوش آلهة النصر وفق اعتقادهم مع الأسود المجنحة، وإلى جانبها آلهة أبوللو وآلهة منيرفا، وهم الحاميان الأسطوريان لمدينة أويا. يظهر في الجانب الأيسر تمثال آلهة أبوللو برفقة طائر الغراب، بينما تظهر خوذة ودرع آلهة منيرفا ورمحها على اليمين. يعرض القوس بأكمله مشاهد تعبر عن القوة والرموز الأسطورية المختلفة. كما هو موضَّح في الصورة رقم (3).



صورة رقم (3) توضح العربة الحربية والأسلحة التذكارية ومن الأسود المجنحة في الجانب الأيمن والأيسر من أعلى القوس (تصوير الباحث).
الوجهان الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي يتميزان بتشابه كبير من حيث التصميم والنقوش. ومع ذلك، يبرز الفرق في الفجوات الموجودة عند المدخلين الأمامي والخلفي للقوس. كما موضَّح في الصورة رقم (4).



(الواجهة الشرقية الواجهة الغربية الواجهة الجنوبية الواجهة الشمالية)

صورة رقم (4) توضَّح تشابه الوجهان الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي للنقوش بشكل كبير، والفرق في الفجوات الموجودة في المدخل الأمامي والخلفي من القوس، (تصوير الباحث).

في الجزء السفلي من هذه اللوحة يظهر الغراب الرمزي لأبوللو، بالإضافة إلى قوسه وغصن الزيتون كما موضَّح في الصورة رقم (5).



صورة رقم (5) توضَّح الغراب الرمزي لأبوللو، بالإضافة إلى قوسه وغصن الزيتون.
(تصوير الباحث).

ولقد زاد هذا البناء رونقاً تلك الأعمدة التي تقف في واجهة القوس تحمل تيجان مركبة، مستقلة بذاتها وغير ملتصقة بجسم القوس مما أكسب الشكل المعماري للقوس رونقاً متناسقاً، تستند هذه الأعمدة على قواعد مستطيلة منحوتة بزخارف نباتية من الطراز الكورنثي، كما موضَّح في شكل (6) وشكل (7).



تاج مركب
composite capital



تاج كورنثي
corinthian capital



تاج أيوني
ionic capital

تيجان الأعمدة الرومانية

استخدام التاج الكورنثي في تصميم القوس شكل (6) ²⁴

24 أرينه أحمد، العمارة الرومانية، جامعة المنارة، ص 4 .



شكل (7)

الأعمدة كانت من الطراز الكورنثي Corinthian ، وورد من أصول العمارة المصرية، ثم انتقل إلى الإغريق ونشأ في مدينة أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد، واشتقت تسميته من مدينة كورنث اليونانية، في حقبة لاحقة. ويتشكّل تاجه من نسقين من أوراق نبات الأفتنا. وظهر من هذا الطراز نوعان: الكورنثي الإغريقي، والكورنثي الروماني.

وكما نلاحظ زاوية الأعمدة الأربعة منحوتة بزخارف نباتية وهندسية بشكل متناسق إتباعاً لنهج القوس، كما موضّح في الصورة رقم (7).

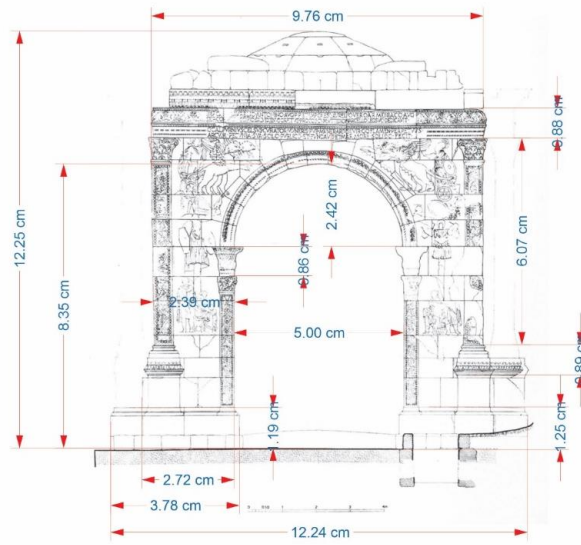


صورة رقم (7) توضّح زخرف القوس - نقوش منحوتة ذات زخارف نباتية وهندسية بشكل متناسق إتباعاً لنهج القوس.
(تصوير الباحث).

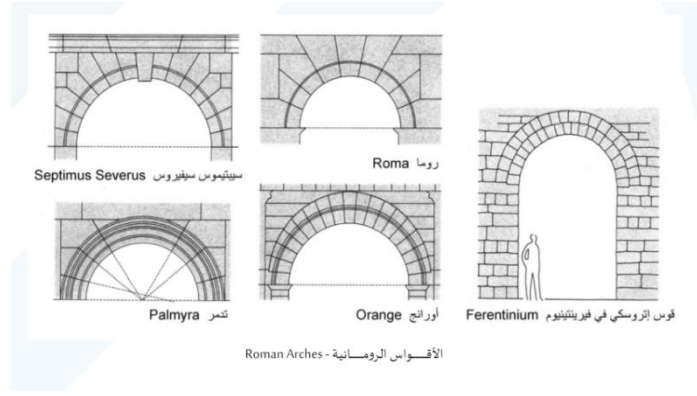


صورة رقم (8) توضّح السقف الداخلي للقوس، وهو مكوّن من ثمانية أظلع مركّب بشكل مثلث هندسي ذات زخارف هندسية ونباتية. (تصوير الباحث).

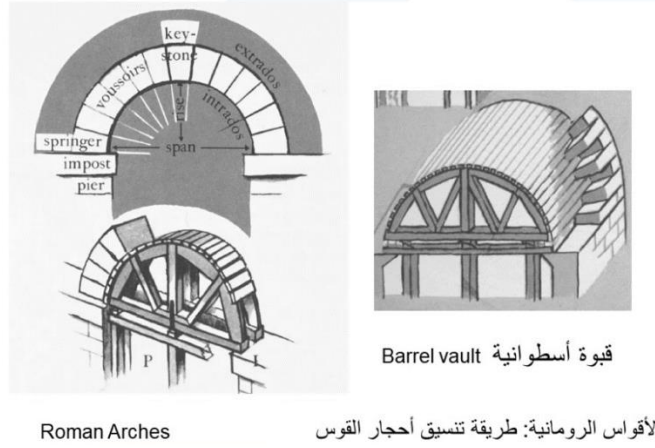
مقاسات وأبعاد القوس :



شكل رقم (9) يوضّح مقاسات وأبعاد القوس.



شكل (10) يوضح رسم تخطيطي لعدد أنواع أقواس رومانية (استخدام طراز روما في تشييد قوس ماركوس أوريليوس)²⁵



Roman Arches

الأقواس الرومانية: طريقة تنسيق أحجار القوس

شكل (11) يوضح بناء القوس عند استخدام قوالب خشبية تسند إليها الحجارة أثناء عملية البناء²⁶

دراسة تحليلية:

نقدم لكم نموذجاً فريداً يعكس التوافق المتكامل بين مختلف جوانب هذا القوس، حيث ترتبط أجزاؤه بانسجام لا ينفصل. يعد هذا النموذج تحفةً فنيةً تجمع بين الذوق الرفيع والشعور العميق بروعة التنفيذ والأناقة والجمال؛ إنّه قوس النصر.

25 أرينه أحمد، العمارة الرومانية، جامعة المنارة، ص7 .

26 أرينه أحمد ، العمارة الرومانية، جامعة المنارة، ص8.

بدأ هذا البناء كخط منحني بسيط، يربط بين قائمتين، لكنّه تطوّر ليصبح معلماً شامخاً يوثق مختلف جوانب الحياة الرومانية من سياسة وفنون وهندسة ومعمار.

تركز هذه الدراسة التحليلية على قوس النصر ماركوس أوريليوس في مدينة طرابلس عاصمة ليبيا. وبعد هذا القوس نصباً تذكاريّاً للإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس (161-180 م).

تقتصر الدراسة على الفن البيئي وتأثيره على الوعي الجمالي مستثنيةً بذلك النصب التذكارية، أو بوابات المدن الأخرى، حيث تم اختيار قوس النصر ماركوس أوريليوس كنموذج للفنون البيئية المشيئة في مدينة طرابلس.

شيد القوس من الرخام وزُيّن بنقوش نحتية رائعة، تتنوّع ما بين الزخارف النباتية والهندسية، وهو أسلوب تأثر بتأثيرات متعدّدة نظراً لتعدد الفنانين الذين أسهموا في تنفيذه عبر الفترات الزمنية المختلفة.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

- أسهم الفن البيئي في تنمية الوعي الجمالي.
- تلعب الفنون البيئية دوراً مؤثراً في الحياة اليومية، إذ تسهم بشكل كبير في الحفاظ على الحضارات التاريخية، والمعالم الأثرية وتنامي الفنون، ورفع الوعي الجمالي والثقافي داخل المجتمع.
- توضّح النتائج ما مدى تأثير جماليات الفن البيئي من خلال الوعي الثقافي والجمالي.
- الفن نظام معرفي يتمتع بالحرية أكثر من التراكم المعرفي، وينتهي بحلول منطقية، وهذا يعني أنّ الفن بحد ذاته، هو تنمية الوعي الجمالي والثقافي.

ثانياً: التوصيات:

- تطبيق مادة الفنون البيئية لطلبة الفنون وتعريفهم بها.
- تعريف طلاب الفنون بالوعي الجمالي، وفائدتها للأعمال الفنية.
- العمل على توعية الفن البيئي والوعي الجمالي.
- رفع الوعي الجمالي لدى المواطن، وذلك ببحث برامج توعية مقروءة ومسموعة ومرئية للتعريف بقيمة هذه المعالم وأهمية هذه المنطق.
- المحافظة والحماية والترميم الدوري للأعمال الفنية التاريخية والاستعانة بضباط الشرطة في حراسة المواقع المهمة، والقريبة من العمران حيث شهدت بعض المناطق الأثرية سلوكيات مشابهة كالكتابات المشينة على بعض المعالم الأثرية.

المصادر والمراجع العربية:

- سائد سلوم، علم الجمال، الجامعة الافتراضية السورية.
- ممدوح عبد الجيد، القيم الجمالية والتعبيرية، المجلس الأعلى للثقافة.
- الوعي الجمالي، عبد اللطيف إبراهيم، وفاء، مكتبة السرة، مصر، 2332
- صفاء لطفي الألوسي، الفن البيئي تعريفه، تطوره، عناصره وأهميته، الدار المنهجية.
- ظلال سالم نجم، الفن البيئي ودوره في تنمية الوعي الجمالي، مجلة بحوث الشرق الأوسط المجلد 8 ، العدد 53.
- حسن محمد حسن، الأصول الجمالية للفن الحديث.
- إبراهيم، وفاء: الوعي الجمالي عند الطف، مكتبة السرة، مصر، 2332
- زكريا إبراهيم القاهرة، ديوي جون، الفن خبرة، دار النهضة العربية.
- سعيد سالم بن محسن الأسمرى، الفنون وعلاقتها بتعزيز الصحة النفسية، دار الجودة.
- دعاء مسمار عبد الحفيظ، أقواس النصر الرمائية، وزارة الدولة لشؤون الآثار.